

روح المعاني

وقرأ الحسن يئن مضارع آن أينما بمعنى أني السابق وقال أبو العباس : قال قوم : إن يئين أينما الهمزة مقلوبة فيه عن الحاء وأصله حان يحين حيناً وأصل الكلمة من الحين وما نزل من الحق أي القرآن وهو عطف على ما ذكرنا فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين نحو .

هو الملك القرم وابن الهمام .

فإنه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء وإلا بأن كان المراد به تذكيرنا تعالى إياهم فالعطف لتغاير الذاتين على ما هو الشائع في العطف وكذا إذا أريد به ذكرهم أننا تعالى بالمعنى المعروف وجوز العطف على الاسم الجليل إذا أريد بالذكر التذكير وهو كما ترى وقال الطيبي : يمكن أن يحمل الذكر على القرآن وما نزل من الحق على نزول السكينة معه أي الواردات الإلهية ويعضده ما روينا عن البخاري ومسلم والترمذي عن البراء كان رجل يقرأ سورة الكهف وعنده فرس مربوط بشطنين فغشيته سحابة فجعلت تدنو وجعل فرسه ينفر منها فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له ذلك فقال : تلك السكينة تنزل للقرآن .

وفي رواية اقرأ فلان فإنها السكينة تنزل عند القرآن أو للقرآن انتهى ولا يخفى بعد ذلك جدا ولعلك تختار حمل الذكر وما نزل على القرآن ولما يخس مما بعد من نوع تأييد له وفسر الخشوع للقرآن بالأنقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام من غير توان ولا فتور والظاهر أنه اعتبر كون صلة الخشوع وجوز كونها للتعليل على أوجه الذكر فالمعنى ألم يأن لهم أن ترق قلوبهم لأجل ذكرنا تعالى وكتابه الحق النازل فيسارعون إلى الطاعة على أكمل وجوها وفي الآية حض على الخشوع وكأن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما كما أخرج عنه ابن المنذر إذا تلاها بكى ثم قال : بلى يا رب بلى يا رب وعن الحسن أما وإننا لقد استبطأهم وهم يقرءون من القرآن أقل مما تقرأون فانظروا في طول ما قرأتم وما ظهر فيكم من الفسق وروي السلمي عن أحمد بن أبي الحواري قال بينا أنا في بعض طرقات البصرة إذ سمعت صعقة فأقبلت نحوها فرأيت رجلاً قد خر مغشياً عليه فقلت : ما هذا فقالوا : كان رجلاً حاضراً القلب فسمع آية من كتابنا فخر مغشياً عليه فقلت : ما هي فقيل : قوله تعالى : ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكرنا أن فاق الرجل عند سماع كلامنا فأنشأ يقول : أما آن للهجران أن يتصرما وللغصن غصن البان أن يتبسما وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى ألم يأن أن يبكي عليه ويرحما كتبت بماء الشوق بين جوانحي كتاباً حكى نقش الوشي المنمنما ثم قال

: إشكال إشكال إشكال فخر مغشياً عليه فحركناه فإذا هو ميت وعن أبي بكر رضي الله تعالى عنه إن هذه الآية قرئت بين يديه وعنده قوم من أهل الإمامة فبكوا بكاء شديدا فنظر إليهم فقال هكذا كنا حتى قست القلوب ولعله أراد رضي الله تعالى عنه أن الطراز الأول كان كذلك حتى قست كثير من الناس ولم يتأسوا بالسابقين وغرضه مدح أولئك القوم بما كان هو ونظراؤه عليه رضي الله تعالى عنهم ويحتمل أن يكون قد أراد ما هو الظاهر والكلام من باب هضم النفس كقوله رضي الله تعالى عنه : أقيلوني فلست بخيركم وقال شيخ الإسلام أبو حفص السهروردي قدس سره : معناه تصلبت وأدمنت سماع القرآن وألفت أنواره فما تستغربه حتى تتغير كما تغير هؤلاء السامعون انتهى وهو خلاف الظاهر وفيه نوع انتقاص للقوم ورمز إلى أن البكاء عند سماع القرآن لا يكون من كامل كما يزعمه بعض جهلة الصوفية القائلين : إن ذلك لا يكون إلا لضعف القلب عن تحمل الواردات الإلهية النورانية ويحل عن ذلك كلام الصديق رضي الله تعالى عنه وقرأ غير واحد